جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
قسم العلوم الانسانية
المستوى : أولى ماستر وسيط
الدكتور سليم حاج سعد

مقياس : مجتمع الغرب الاسلامي
الموسم الجامعي : 2022/2021
المحاضرة 02

عناصر المجتمع الأندلسي حتى عصر مملكة غرناطة

أولا : المسلمون

عبر ثمانية قرون من الوجود الإسلامي، طرأت على المجتمع الأندلسي العديد من التغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والاجتماعية، حيث تدفقت على المنطقة منذ فترة الفتح هجرات عديدة كان أغلبها من الشرق وبلاد المغرب، فكان العرب والبربر بالإضافة إلى الأفارقة ، هذا مع وجود القوط السكان الأصليين لشبه الجزيرة واليهود مما أصبح يعرف فيما بعد بالأسبان[1].

وقد شكلت مكونات المجتمع عاملا مهما لتفسير الظواهر الاجتماعية، بل إن قيام الدول في العصور الوسطى قام أصلا على أساس العصبية القبلية، وعليه استغل الحكام والثوار أماكن اماكن استقرار القبائل العربية والبربرية والخلافات القائمة بينهم في ترجيح كفة الصراع.

ومن هنا ساهم الوجود الإسلامي في اندماج هذه العناصر وتكاملها إلى درجات معتبرة رغم اختلاف الدول والأسر الحاكمة عبر كل هذه الفترة، وهو الأمر الذي صعّب على الباحث في التاريخ الأندلسي التمييز بين كل هذه العناصر والأجناس البشرية، خاصة مع بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، حيث بدأ يقل استخدام بعض المصطلحات في الأبجديات العامة مثل "المسالمة" و"المولدين" و "المستعربين" وغيرها، وأصبح المصطلح الشائع الاستعمال هو لفظ الأندلسيين[2].

ولنا أن نلاحظ هذا المصطلح في العديد من المصادر التاريخية، فمثلا نجد ابن عبدون يفرق بين الأندلسيين والمرابطين في موضعين من رسالته[3]، ويؤكد ذلك لسان الدين بن الخطيب عندما كان يتكلم عن أهل غرناطة فقال : "... وجندهم صنفان، أندلسي وبربري، والأندلسي منها يقودهم رئيس من القرابة ..."[4]، وبنفس اللفظ كان الاستعمال عند الموحدين في تشكيلاتهم الإدارية، فقد كانت عندهم هيئة

استشارية من أشياخ الأندلسيين[5].

وعليه فالأندلسيون بداية من القرن الخامس الهجري هم خليط من أجناس وأعراق مختلفة، فمنهم من كانت أصولهم غير عربية مثل ابن همشك[6] وبني مردنيش[7]، وكثير منهم العربي، حيث يعدد لنا ابن الخطيب أنساب العرب من أهل غرناطة فيقول : "... يكثر فيها القرشي والفهري والأموي والآمي والأنصاري والأوسي والخزرجي والقحطاني والحميري والمخزومي ... والقشيري والقضاعي ..."[8].

ومن خلال تصفحنا للوثائق العربية الغرناطية المتأخرة، نلاحظ أن المجتمع الغرناطي لم يعد يبحث كثيرا عن إرجاع نسبه إلى الأسر العربية العريقة مثلما كان في عهود سبقت، وإنما أصبح مجتمعا أندلسيا أصيلا، وهو ما يذهب إليه عدد من الباحثين الإسبان أمثال لويس سيكو دي لوثينا حيث يستخلص بأن المجتمع الغرناطي في القرن الخامس عشر الميلادي، كان مجتمعا أندلسيا متأصلا لا يكاد الفرد فيه يحافظ على نسبه ليثبت أنه يرجع إلى قبيلة عربية رغم وجود بعض الاستثناءات، بل يعتز بأنه مسلم أندلسي ينسب في الغالب إلى بلده[9]، ونلاحظ ذلك من خلال أسماء وألقاب أكثرهم، فلا نجد فيها الصفة المشرقية حاضرة بكثرة، فهم ينسبون أنفسهم بفخر إلى الأسر الأندلسية المسلمة العريقة، فأصبحت الألقاب تنسب إلى المدن والنواحي بدل الأصول العربية، مثل الطرطوشي والحامي والمالقي والغرناطي[10] وغيرها من أسماء الحواضر المشهورة، فالأندلسيون أصبحوا أشبه بعرقية جديدة ناشئة تكاملت في فترات وتصادمت في فترات أخرى، لهذا نجد الدكتور حسين مؤنس يصفهم بأنهم كانوا من أوفر العناصر البشرية نشاطا وأكثرها تلاؤما مع ظروف الحياة في شبه الجزيرة الأيبيرية وهو ما يحدث عادة عند تنوع الأعراق[11].

وحين الكلام عن عصر بني الأحمر في غرناطة، فإننا نجد أن هذه الفترة متأخرة جدا في التاريخ الأندلسي، فهذه العناصر ازدادت انسجاما وتداخلا إلا مع العناصر المختلفة دينيا كاليهود والنصارى، أو مع العناصر الوافدة حديثا كالبربر، وهذا ما يجعل صعوبة التمييز بين عناصر المجتمع الغرناطي بالغة، ورغم ذلك سنحاول تتبع هذه العناصر مع ما توفر لدينا من مصادر تاريخية، وقد اشتملت عامة مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر على عناصر أساسية من المسلمين وأهل الذمة، فتشكل المسلمون من عنصرين رئيسيين هما العرب والبربر، أما أهل الذمة فقد تشكلوا من النصارى واليهود.

إضافة إلى تلك العناصر تواجدت عناصر أخرى مختلفة، لم تكن بالكثافة التي تسمح لنا بأن نفرد لها عنصرا خاصا، وإنما وردت على شكل إشارات بسيطة عابرة في المصادر التاريخية والجغرافية، فمثلا يحدثنا ابن الخطيب عن وجود عناصر سودانية كان لهم رباط خارج مالقة فيقول : "... ونزل برباط السودان من خارج مالقة واشتهر ..."[12]، إضافة إلى ذلك نجد إشارة عن عناصر من المتصوفة جاؤوا من الهند وبلاد الفرس وخراسان للمرابطة في سبيل الله وقتال النصارى بعد تهاوي المدن الأندلسية تباعا[13].

أ . العرب :

تسمى الموجات البشرية التي دخل بها العرب إلى الأندلس بالطوالع، وأول هذه الطوالع هي طالعة

موسى بن نصير في رجب من سنة 93 هـ[14] / 711م، وكانت تتألف من ثمانية عشر ألفا من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر[15]، وقد استقرت هذه الطالعة في كل النواحي الواقعة على طول الطريق التي سار فيها موسى بن نصير، أي نواحي الجزيرة الخضراء وأشبيلية وسرقسطة، وبعض المناطق المتفرقة في أقصى الشمال والشمال الغربي، فيما تسميه المصادر التاريخية بـ "ما وراء الدروب "، وقد غلب على هذه الطالعة اليمنيون مقارنة بالقيسيين[16] والذين تركز استقرارهم بشكل كبير في جنوب الأندلس.

أما الطالعة العربية الثانية والتي قدمت إلى الأندلس، فهي طالعة الحر بن عبد الرحمن الثقفي، والتي كانت في ذي الحجة من سنة 97 هـ أوت 716م، وذلك بقدومه واليا ومعه أربعمائة عربي من إفريقية[17]، وبما أن أغلب عرب إفريقية من اليمنيين، فإن هذه الطالعة كانت بطبيعة الحال يمنية في مجملها على الأقل، وبما أن الحر قدم بهم ليشدوا أزره، فقد أقاموا في قرطبة وما حولها[18]، فسموا أنفسهم بالبلديين فاعتبروا أنفسهم بذلك أهل الأندلس وأصحابها[19].

ومن بين أهم الطوالع العربية التي قدمت الأندلس بعد طالعة موسى بن نصير هي طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري في ذي القعدة من سنة 123هـ/ سبتمبر 741م، وكان أغلبها من العرب القيسيين الشاميين[20] ممن تحصنوا بسبته، بعد الهزيمة النكراء التي لحقت العرب أمام الثوار البربر الصفرية في موقعة الأشراف، وذلك بعد أن اضطر والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري، في ولايته الثانية إلى الاستعانة بهم للقضاء على ثورة البربر في الأندلس، وقد كان عدد العرب في هذه الطالعة[21] ما يقارب العشرة آلاف عربي من الفرسان.

إذا ما أخذنا بالمعلومات القليلة التي لدينا عن أعداد العرب الذين وصلوا الأندلس واستقروا بها، نجد أنه قد قدم إليها ثمانية عشر ألفا مع موسى بن نصير، وعشرة آلاف مع بلج بن بشر القشيري، وأربعمائة مع الحر بن عبد الرحمن الثقفي، ومجموع كل هذه الأعداد يصل إلى حوالي ثلاثون ألف عربي، هذا ما لم نحسب من استشهد في فتح البلاد وما ورائها من نواحي غالة، وكذلك أعداد من عاد إلى المشرق أو إلى إفريقية بعد الفتح، يعتبر عدد العرب بهذا الشكل قليلا، إلا أننا سنجد الأندلس يموج بهم في أغلب نواحيه[22] حسب تعبير المقري، فمن أين بهذه الأعداد الكبيرة ؟

من الواضح أن هناك أعدادا أخرى من العرب قدمت إلى الأندلس في شكل فرادى أو جماعات، سكتت عنها المصادر التاريخية التي تكلمت عن هذا الجانب، وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه المستشرق ليفي بروفنسال[23]، حين تكلم عن هجرات عربية متأخرة قد تكون شهدتها الأندلس، أو ربما تكون سرعة التعريب كانت كبيرة جدا إلى درجة أن ظهر للمقري التلمساني، وكأن الأندلس يموج بأغلبية عربية، ناهيك عن التزاوج الذي حدث بين العرب والنساء الأسبانيات على اعتبار أن الفاتحين لم يصحبوا معهم عائلاتهم، فنشئ بذلك جيل معرب اللسان تمازج مع العرب الأصليين، ومع الأخذ بشرف الانتساب أخذوا يوصفون بأنهم من أصل عربي[24].

وقد تركز استقرار العرب في مناطق أندلسية بعينها منها قرطبة وأشبيلية وسرقسطة وأستجة والجزيرة الخضراء وباجة وألبيرة وغرناطة[25]، وعلى اعتبار أن العرب هم القوة التي فتحت بلاد الأندلس وكانت لهم السلطة في أغلب الفترات، فقد سيطروا على الأراضي الخصبة في السهول والوديان[26] امتيازات مالية وإقطاعات في أحواز الأندلس[27].

يشكل المسلمون أغلب سكان مملكة غرناطة النصرية على اختلاف أصولهم العرقية، وقد شكل العرب منهم نسبة كبيرة جدا، رغم المحاولات الأسبانية القديمة والحديثة للتقليل من نسبتهم، ففي سنة 710 هـ / 1311م، أعلن الرسل الأراغونيون المبعوثون إلى القصر البابوي لكليمون الحادي عشر clemon XI أثناء الاحتفال بالمجمع الديني العام، أن عدد العرب في غرناطة لا يتجاوز مائتي شخص[28]، إلا أن ابن الخطيب يشير إلى أن معظم سكان مملكة غرناطة كانوا من العرب وذلك بالرجوع إلى أصولهم[29]، حيث منهم السوريون الذين استوطنوا غرناطة في البداية بالإضافة إلى الذين هاجروا إلى مملكة غرناطة على إثر الغزو النصراني المتواصل على القواعد الإسلامية الأندلسية[30]، فابن الخطيب يذكر لنا أن أغلب أنساب أهل غرناطة عربية، ويرجع ذلك إلى إنزال أبي الخطار الكلبي العرب الشاميين بهذه الكورة[31].

ويذكر لنا ابن الخطيب في كتاب الاحاطة عند استعماله للوثائق والعقود والنوازل في تقصي أنساب مملكة غرناطة، أن نسب القيسيين يكثر فيها، في الاسترعاءات[32] والبيعات السلطانية والإجازات والشهادات[33]، وكلها وثائق مهمة مكنته وضيفته السامية في الدولة من الاطلاع عليها.

كما يذكر لنا ابن لب في نوازله نسب عائلة عربية قيسية وهم ابراهيم بن أحمد بن عبو بن طفيل القيسي من تاجلة، وأبا القاسم بن أبي القاسم بن طفيل القيسي، وعلي بن حميد بن أبي القاسم بن طفيل القيسي[34]، وفي نفس السياق يذكر ابن الخطيب بأن ممن نزل بكورة ألبيرة من أعلام العرب الذين فيها إلى عصره بيوتهم جملة منهم : بيوتات من قيس عيلان ثم يذكر جل القبائل العربية بالتفصيل[35]، وهو نفس الأمر الذي يؤكده المقري التلمساني[36]، ومن القبائل العربية التي نجد لها ذكرا في النوازل الغرناطية قبيلة "لخم"[37]، وكذلك قبيلتي الأوس والخزرج[38]، هذا رغم أنه في كثير من الأحيان يذكر لقب الأنصاري دون تحديد أكان من الأوس أم من الخزرج، وهو ما نلاحظه في عقد بيع رحى فيه ذكر لمريم بنت أبي عبد الله محمد بن سليمان الأنصاري[39]، وكذلك أسرة ابن خميس العربية والتي يرد ذكرها في أحد النوازل التي وقعت في الجزيرة الخضراء حيث كان استقرار عدد من العرب من أفراد هذه القبيلة العربية[40].

وقد حاول ابن الخطيب أن يقدم لنا صورة لعرب غرناطة واصفا إياهم حيث قال عنهم : "... رجال متوسطي القامة صورهم حسنة أنوفهم معتدلة غير حادة، شعورهم سوداء مرسلة، ألسنتهم فصيحة وأنسابهم عربية..."[41]،كما سرد لنا ابن الخطيب الأصول العرقية المنتسبة إلى القبائل العربية للعديد منها على سبيل المثال : القرشي، الفهري، الأموي ، الأزدي، القيسي، الكناني، الخزرجي، القحطاني، الحميري، الكلابي وغيرها من الأصول التي كان ابن الخطيب يرى فيها دليلا على أصالة ونزاهة العرق العربي[42]، لذلك

يفتخر هو بنسبه الذي يمتد إلى قبيلة السلمانيين المتفرعة من المراديين وهم من عرب اليمن القحطانية[43]، وكان النسب العربي في غرناطة النصرية مدعاة للفخر والاعتزاز عند بعض الفئات مثل جلساء الأمراء النصريين الذين كانوا يفخرون بأصولهم العربية[44]، بالإضافة إلى نساء الأسرة الحاكمة اللائي كن أشد اعتزازا بنسبهن العربي الأصيل، فيصف لنا ابن الخطيب نساء العرب بالجمال والرشاقة والسحر ونبل الخلال، لكنه ينعي عليهن المبالغة في التزين والتهرج[45].

ب . البربر[46] :

ساهم البربر بدور هام في فتح الأندلس، فكان الجيش الذي قاده طارق بن زياد مغربيا خالصا عدى عدد بسيط من العرب، وقد بلغ تعداد هذا الجيش سبعة آلاف رجل[47]، ثم بعث إليه موسى بن نصير خمسة آلاف رجل قبل المعركة الحاسمة[48]، وهي تنتمي إلى قبائل حددها ابن خلدون[49] وهي : مطغره، مديونة، مكناسة وهواره، وكلها متفرعة من القبيلة الكبيرة زناته.

وبعد انتشار أنباء النصر الذي أحرزه طارق بن زياد على القوط في بلاد الأندلس، حتى أخذت جموع البربر وحدانا وجماعات تهاجر إليها، التماسا للغنائم أو للاستقرار في هذه البلاد الغنية، وقد عبر عن هذا المقري بقوله : "...وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغنم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق..."[50] ، تواصلت تلك الهجرات البربرية طيلة العهد الأموي، حيث نجد بعض خلفاء بني أمية يستكثرون منهم معتمدين عليهم في الجيش وبلغ ذلك ذروته مع عهد الحكم المستنصر والمنصور بن أبي عامر[51]، حيث أصبح الجيش الأندلسي جيشا مغربيا خالصا.

استقر البربر بالمناطق الجبلية الوعرة من بلاد الأندلس، خاصة الشمالية منها، مثل لاردة وإسترقه، و"المداين" التي خلف الدروب، أي نواحي الهضاب الشمالية[52] بالإضافة إلى شذونة وشعاب رندة ومالقة وسفوح جبل شلير بغرناطة[53]، وقد ذهب ليفي بروفنسال إلى أن البربر لم يكن لهم الخيار في منطقة أخرى غير تلك المناطق الجبلية، لأن العرب اختصوا أنفسهم بالأراضي الخصبة، وهو الشيء الذي أدى بالبربر إلى الثورة عليهم فيما بعد[54]، إلا أن الدكتور حسين مؤنس[55] لا يتوافق مع هذا الطرح، حيث يرجع مجمل أسباب ثورات البربر إلى سوء معاملة العرب لهم، وقد اعتمدت الدولة الأموية على البربر بشكل كبير في الجيش، وبذلك زادت هجرتهم إلى الأندلس خاصة في القرن الرابع الهجري حينها بلغت أوجها، حيث شجعها الخليفة عبد الرحمن الناصر.

وفي هذا يقول ابن حيان : "... اجتذاب كثير من فرسان البرابر وحماة حضرته ... استعان بهم في حروبه ... قويت أسباب ملكه وبعد صيته وهابته ملوك الأمم حوله ..."[56]، وقد كان استقرارهم في هذه الفترة في

الأغلب منحصرا في وسط البلاد وجنوبها حيث غرناطة وما جاورها، إلا أن هذا التواجد سرعان ما تأثر وذلك عقب الفتنة القرطبية[57]، التي أدت إلى نهاية نظام الخلافة في الأندلس، وبذلك زالت الدولة الأموية[58]، أو كما يسميها الدكتور عبد العزيز فيلالي بفتنة محمد بن هشام المهدي[59]، وليس كما تسميه بعض المصادر التاريخية ظلما بـ "الفتنة البربرية".

يتواصل رغم ذلك الوجود البربري في الأندلس، بل ويتدعم بعد ذلك في فترة ملوك الطوائف، وذلك عندما أسسوا لهم مملكة[60] في منطقة غرناطة بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، فكان لصنهاجة دور بارز فيها[61]، حينها نجح القائد حبوس بن ماكسن الزيري(420-429هـ / 1029-1037م)[62] في تأسيس دولة مستقلة في غرناطة، وكون لها جيشا وعقد بينه وبين جيرانه روابط المودة والصداقة[63]، محافظا بذلك على الثقافة المغربية، وهو ما أثر بشكل كبير على زيادة عددهم في هذه المدينة وضواحيها، فكانت موجة كبيرة للهجرة نحو إقليم غرناطة[64]، ودام هذا الوضع حتى انتهت هذه الدولة على أيدي المرابطين الفاتحين الجدد للعدوة الأندلسية في نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي[65].

وتدعم الوجود المغربي في الأندلس فترة المرابطين والموحدين بهجرات إضافية، على أساس أن هاتين الدولتين مغربيتي الأصل والنشأة، فكانت لهم الكلمة العليا في السياسة والإدارة ببلاد الأندلس[66]، رغم ما كانت تعرفه العدوة من عداوة تقليدية بين الأندلسيين من جهة وبين البربر الوافدين الجدد، وهو الشيء الذي يؤكده المقري التلمساني في قوله : "... عُرف أهل الأندلس ببغضهم وعداوتهم للبربر فلا تجد أندلسيا إلا مبغضا بربريا، وبالعكس ..."[67].

وبالنسبة لعصر بني الأحمر، فكان استمرارا للوضع السابق من وجود كبير للأسر البربرية القديمة الوجود في مملكة غرناطة، إضافة إلى الأسر النازحة من المناطق التي سقطت تباعا بأيدي النصارى، هذا بالإضافة إلى حدوث هجرات جديدة من العدوة المغربية إلى مملكة بني الأحمر، ويتعلق الأمر بما عرف بخطة مشيخة الغزاة، حيث شكل البربر عماد الجيش الحامي للملكة من الأخطار الداخلية والخارجية، فكانت هذه الهجرات في شكل ثلاث دفعات، الدفعة الأولى أواخر أيام محمد الأول (629-672هـ/ 1232-1273م) الذي استقدم فريقا من بني زناتة لمساعدته في مجابهة الاضطرابات الداخلية .

أما الدفعة الثانية فكانت سنة 671 هـ / 1273م، وذلك حين شهدت منطقة غمارة الجبلية في دولة بني مرين ثورة على السلطان أبي يوسف يعقوب (657-685هـ / 1259-1286م) ، وعندما هزمهم فروا إلى تلمسان، ومنها عبروا إلى مملكة غرناطة حيث أكرمهم سلطانها محمد الثاني الفقيه (672 – 701هـ / 1273-1302م) ، وقبلهم عنده حيث استعان بهم السلطان لمحاربة أقربائه من بني أشقيلولة الخارجين عن طاعته ، كما حقق بهم نصرا كبيرا على القشتاليين[68] سنة 672 هـ / 1274م.

أما الدفعة الثالثة فكانت سنة 686 هـ / 1287 م، وذلك على إثر ثورة نشبت في دولة بني مرين ضد السلطان الجديد أبي يوسف يعقوب (685-705هـ/1286-1306م)، وعند انهزام الثوار خرجوا إلى مملكة

غرناطة وانخرطوا في صفوف جيش الغزاة المغاربة فيها[69].

وتتردد علينا الإشارات التي تورد لنا ذكرا لأشخاص من البربر في كتب النوازل والوثائق والعقود، ففي مسألة لابن لب نجد فيها ذكرا لعائلة التيجاني البربرية في مدينة مالقة[70]، وهم في الغالب من البذين عملوا في مشيخة الغزاة المغاربة للدفاع ضد الممالك النصرانية، وهم الذين ذكرهم ابن الخطيب على أن جند الإمارة كان يضم صنفان : أندلسي وبربري، وأن البربري منه المرينية والزيانية والتجانية والعجيسية[71]، وهو نفس الأمر الذي يؤكده ابن خلدون[72].

وتورد لنا إحدى النوازل التي تخص نزاعا حول إحدى الرحى الواقعة على وادي العسل على مقربة من رحى العجسي[73]، وهو لقب لمالك الرحى ذو الأصول البربرية، وفي موضع آخر في أحد عقود البيع التي يرد فيها إسم الشاهد محمد بن محمد النفزي[74]، والذي من الأرجح أن يعود إلى ورفجومة التي كانت مستقرة بسواحل تلمسان حيث هي قريبة من الجزيرة الخضراء وبلاد الأندلس[75].

كما نجد ذكرا لقبيلة مصمودة في نازلة سئل عنها الإمام الحفار[76]، حول الصداق في زواج مصمودي بمصمودية في غرناطة، وفي الغالب تسمى البربر في مملكة غرناطة بأسماء أنسابهم، فكانوا ينسبون إلى إلى قبائلهم البربرية كالنفزي والعجسي والمصمودي، وهذا ربما يبدوا على خلاف ما أشرنا إليه سابقا في نسبة الأندلسيين إلى مدنهم أكثر من نسبهم في التسمية إلى قبائلهم، وهذا ربما يرجع إلى استمرار الهجرات البربرية إلى الأندلس حتى آخر عهد المسلمين بشبه الجزيرة، على عكس الفئات الأخرى التي لا نجد في المصادر التاريخية ذكرا لوجود هجرات عربية متأخرة، فربما بقيت التسميات للقبائل أكثر شيوعا بالنسبة للبربر أكثر منها للعرب على اعتبار قدم العرب في البلاد عاى عكس الكثير من البربر الذين هم حديثي عهد بها، فهل هذه الظاهرة يمكن أن نعزوها إلى حساسية العلاقة بين الأندلسيين والبربر؟ أم أنها غير ذلك؟

فإذا تتبعنا أمثال العوام من أهل غرناطة ونظرتهم إلى البربر المغاربة، فإننا سنلاحظ بما لا يدع مجالا للشك المستوى الكبير للحساسية والريبة التي يحملها الأندلسيون نحو البربر، كقول المثل العامي الأندلسي "بحال الغازي لا ينكرك ولا يعطيك" والغازي هنا يقصد به جيش الغزاة من البربر من بني مرين والذي في حالة مداينته فإنه يقر لك بدينك عليه دون تسديده، وفي مثل عامي آخر يقول : "البربري والفار لا تعلمهم باب الدار"[77]، وهنا تظهر بجلاء نظرة الأندلسي الغرناطي للبربري المغربي الوافد الجديد على مملكة غرناطة في عصر بني الأخمر، إلى درجة أن ابن الخطيب يقر بوجود هذه الحساسية بين الفريقين في مملكة غرناطة حيث يسميها النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة[78].

ثانيا : أهل الذمة

شكل أهل الذمة عنصرا مهما بالمجتمع الأندلسي الغرناطي مع المسلمين من عرب وبربر، الذين كانوا يشكلون أغلب سكان مدينة غرناطة، وأهل الذمة هم الكتابيون الذين آثروا الحفاظ على دينهم، فكان لزاما على المسلمين القبول بوجودهم والسماح لهم بالقيام بشعائرهم وتوفير الحماية لهم مقابل ضرائب يدفعونها للسلطة تسمى الجزية، وهذا تطبيقا لقول الله تعالى ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[79]

أ . النصارى[80] :

كان النصارى يشكلون جزءا معتبرا من المجتمع الأندلسي خاصة في عصر الولاة، وقد كان المسلمون بعد الفتح يطلقون عليهم اسم العجم[81] أو عجم الأندلس، كما أطلق عليهم اسم الروم ومفردها رومي[82]، إلا أنه وبعد أن بسط المسلمون سلطانهم على الأندلس واستقرت الأمور لهم[83]، أصبحوا يسمونهم بعجم الذمة[84] ، أما من كان لهم عهد منهم فقد سموا بالمعاهدين[85]، لكن بعد أن بدأ أهل البلاد من النصارى يدخلون في الإسلام ويحسن إسلامهم، أطلق على من أسلم منهم المسالمة ومفردها مسالم، ثم أطلق على أولادهم الذين نشئوا في الإسلام اسم المولدين ومفردها مولد، كما يطلق لفظ المولدين على الذين كانوا نتاج التزاوج بين المسلمين عربا وبربرا مع النساء الأسبانيات، وبمرور الوقت ضعفت فئة المولدين بسبب الاختلاط والاندماج بالسكان الأندلسيين[86].

وكان من بين النصارى العجم، حيث حافظوا على لغتهم، وآخرون استعربوا إلى درجة إتقانهم للغة العربية وقواعدها[87] فسموا بالمستعربين Los mozarabes[88]، فبعضهم كان يقيم الصلواة بلغة عجمية، وهي عبارة عن خليط من الأيبيرية والرومانية القديمة، واللاتينية الدارجة والقوطية بالإضافة إلى العربية، وآخرون يقيمونها باللغة العربية، كما اتخذوا لهم أسماء عربية إلى جانب أسمائهم المحلية، فلعبوا أدوارا مهمة في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى الممالك النصرانية[89]، فتمتع هؤلاء النصارى ولعهود طويلة في ظل حكم المسلمين للأندلس، بمعاملة طيبة متسامحة متقبلة لشعائرهم الدينية وتقاليدهم المحلية[90]، وهذا عملا بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[91] .

إن أغلب نصارى الأندلس الإسلامية من أصل أسباني روماني، احتوى على قلة من القوط الوافدين إليهم قبل الفتح الإسلامي[92] ، وليست لدينا أي إحصاءات دقيقة لسكان الأندلس ، نستطيع من خلالها أن نقف على عدد النصارى وباقي عناصر السكان، رغم أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عندما أرسل السمح بن مالك الخولاني [93] واليا على الأندلس سنة 99 هـ/ 717م، أمره أن يخمس أرضها بالإضافة إلى إحصاء سكانها على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ، إلا أن وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز وقفت دون إكمال هذه المهمة، هذا بالإضافة إلى استشهاد السمح بن مالك الخولاني سنة 102هـ/721م .

وإذا ما اعتمدنا على الإشارات التاريخية التي عثرنا عليها في المصادر التي وصلتنا، نجد أن شبه الجزيرة

لم تكن نصرانية بشكل كامل، وإنما كان من بين السكان الأصليين من يعتنق ديانات أخرى، فعبد الواحد المراكشي يخبرنا بأن أهل الجزيرة كانوا على دين الصابئة من عبادة الكواكب والتقرب إليها بأنواع القرابين[94]، أما المقري التلمساني فيذهب إلى أنهم كانوا على دين المجوس والإلحاد والإفساد في الأرض[95]، أما بخصوص أماكن وجودهم في شبه الجزيرة، فقد كان شاملا لكل البلاد خاصة في القرون الأولى من الوجود الإسلامي، إلا أنهم يتركزون بأعداد كبيرة في مناطق معينة مثل كورة ألبيرة ورية وجيان، بالإضافة إلى سرقسطة[96]، هذا مع وجود أحياء خاصة بهم في باقي المدن، أو يتواجدون في شكل فرادى أو أسر أو عبيدا وجواري مندمجين في المجتمع الأندلسي المسلم[97].

وقد كان للنصارى تحت رعاية السلطة الإسلامية في العهد الأموي ديوان خاص بهم يدير شؤونهم ويرعى مصالحهم الدينية والدنيوية يسمى " قومس أهل الذمة "، والذي كان يتولاه أحد أحبارهم المشهورين، وفي الغالب يكون من بين الذين يتمتعون بعلاقة حسنة مع سلطة الخلافة، وبهذا يمكن اعتباره رئيسهم والمسؤول عنهم أمام السلطة الإسلامية المركزية، فيتولى الدفاع عنهم ويرعى شؤونهم، كما يجمع منهم الضرائب المستحقة عليهم، ويساعده في مهامه " قاضي العجم "، والذي يكلف بفض المنازعات بين النصارى وفقا لشريعتهم وتقاليدهم[98].

وبناء على الضوابط التي وضعتها الدولة الإسلامية لتنظيم حياة أهل الذمة، عاش معظم نصارى الأندلس في قرى منفصلة وأحياء خاصة بهم في داخل المدن، وهذا ليستفيدوا من القوانين الإسلامية التي تسمح لهم ببناء الكنائس والأديرة والأسقفيات وصيانتها والقيام بأوقافها، حيث نجد لهذا عدة إشارات عند ابن الخطيب، فيقول في موضع : " ... ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم المعاهدين ... "[99]، ويفهم من ذلك أنه كانت للمعاهدين مناطق منفصلة عن المسلمين يقيمون فيها، وهذا لا يعني عدم وجود نصارى يعيشون بين المسلمين، فمن الواضح أن عدد النصارى الموجودين وسط المسلمين كان كبيرا قبل سنة 515هـ / 1121م، وهذا بعد الخيانة التي قاموا بها تجاه مسلمي غرناطة، حيث أقدموا على استدعاء ملك أراغون ألفونسو السادس (498-528هـ/1105. 1134م) ورغبوه في السيطرة على البلاد[100] بل وأرسلوا إليه عددا كبيرا من شبابهم ليكونوا جندا معه[101]، إلا أنه وبعد هزيمة هذه الحملة وفشلها من السيطرة على دولة غرناطة فقام مسلموا الأندلس " ... بتغريمهم وإجلائهم عن أوطانهم ... "[102]، فاستقر بعضهم في مرج غرناطة والبعض الآخر بقي داخل المدينة ذاتها ، لذلك يخبرنا ابن الخطيب على أنهم كانوا يقيمون شعائرهم الدينية في كنيسة تقع خارج الأسوار قرب باب ألبيرة[103]، فيقول :" ... كانت لهم بخارج باب الحضرة على غلوتين تجاه باب ألبيرة في اعتراض الطريق إلى فولجر[104] كنيسة شهيرة اتخذها لهم أحد الزعماء من أهل دينهم..."[105]

ومن خلال هذه الحادثة التي كانت في غرناطة قبل عهد مملكة بني نصر، يمكن أن نأخذ فكرة عن قلة عدد النصارى المعاهدين داخل أراضي غرناطة، وهو الأمر الذي جعل الباحث الإسباني **Isidro de las cagigas** يعتبر أنهم انقرضوا من مملكة غرناطة أواسط القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي[106]

ورغم ذلك لا ينعدم الوجود النصراني في شكل أفراد حيث نجد العديد من الإشارات التي تشير إلى أن هناك العديد من الجواري النصرانيات اللائي كن أمهات لأولاد سلاطين المملكة[107]، ناهيك عن باقي فئات المجتمع[108]، كما استخدم بعض السلاطين النصارى كحرس شخصي لهم[109] ومن أمثلة ذلك محمد الخامس (755 – 760هـ/ 763 – 793هـ / 1354 – 1359م / 1362 – 1391م) الغني بالله الذي تبعه حرسه من النصارى إلى ملجئه في بلاد المغرب[110].

بالإضافة إلى ذلك كان عدد الأسرى النصارى في مملكة غرناطة معتبرا، وهذا راجع إلى كثرة الحروب والكمائن والمعارك المتكررة بين ملوك بني نصر وملوك النصارى، فكانوا يشتغلون بالحقول وفي عمليات الحفر والرعي في المناطق الريفية، وفي أغلب الصناعات في المدينة[111]، كطحن حب الذرة وجمع خيوط الكتان وصنع الأخفاف وقطع الأخشاب وتسخين الحمامات الخاصة والعامة وخدما في المنازل وجلب الحطب وفي الأرحاء وفي أعمال البناء وغيرها من الأشغال اليومية التي يحتاجها سكان مدينة غرناطة[112].

وحتى السنوات الأخيرة من حكم بني الأحمر، واصل ملوكها جلب الأسرى، ففي سنة 890هـ/ 1485 م تم شراء أربعمائة أسير من رندة، وفي السنة الموالية أربعون أسير من لوشة[113]، وفي سنة894 هـ/ 1489 م كان تحرير ألف وخمسمائة أسير[114]، هذا ناهيك عن أن أعدادا كبيرة من الأسرى النصارى لم يحافظوا على ديانتهم الأصلية، حيث اعتنقوا الإسلام فأصبحت لهم كل الحقوق كباقي مسلمي المملكة وبذلك يتخلصون مما هم فيه، ففي القرن الثالث عشر اعتنق خوان مارتينز juan maetinez الإسلام مع ثلاثة عشر آخرين[115]، وهنا تكثر الإشارات الواردة في النوازل الفقهية الغرناطية، ففي نازلة وقعت بمالقة، فبعدما أفتى فيها علماء هذه المدينة عرضت على فقهاء غرناطة بما قوله : أن رجلا من أهل مالقة كان له مملوك رومي نصراني فجاء الفكاك من أرض الحرب وفداه من سيده بمال ، وبعد ذلك أسلم المملوك فقام الفكاك يطلب أن بمكن من العلج الذي افتكه أو يرجع إليه ماله الذي دفعه، فمنع من العلج بسبب إسلامه وأبى سيد العلج أن يرد له المال[116]، وهذه الحادثة تثبت قناعة العلج في اسلامه وخروجه من النصرانية رغم أنه كان سينال حريته، وهو نفس الأمر الذي تثبته عقود إسلام النصارى واليهود التي وصلتنا من الأندلس حيث يسجل في العقد أنه إنما أسلم طواعية وخرج عن دين النصرانية ربة منه، وأنه دخل دين الاسلام ربة فيه واغتباطا به لعلمه أن الله تعالى لا يقبل سواه[117]، وفي المقابل لم تغفل النوازل ذكر العملية العكسية من تنصر بعض الأندلسيين وانتقالهم إلى النصرانية ففي مثال على ذلك أندلسي تنصر وتزوج من نصرانية إلا أنه ما لبث أن عاد معها إلى غرناطة حيث أسلم وأسلمت زوجته معه[118].

وفي مسألة حول رجل من أهل مربلة فقد أخاه في معركة بغربية الأندلس فظل يبحث عنه، إلا أنه لم يعثر عليه، ففكر في العودة إلى بلاد الاسلام، إلا أن المدجنين هناك طلبوا منه البقاء كوسيط ومترجم حتى لا يقعوا في أزمات مع النصارى، فكانت الفتوى من الونشريسي بوجوب الهجرة خوفا على الدين حيث يقول في هذا الموضوع : "...ومنها الخوف من سريان سيرهم ولسانهم ولباسهم وعوائدهم المذمومة معهم بطول السنين، كما عرض لأهل آبلة وغيرهم، وفقدوا اللسان العربي جملة، وإذا فقد اللسان العربي

فقدت متعبداته ..."[119]، وهذا يبين وعي الونشريسي وكثير من الفقهاء خطر هذه الوضعية وذوبان العامة من المسلمين الواقعين تحت سيطة النصارى إما بشكل طبيعي أو قسري، أو حتى بطرق الازدراء والمهانة وغيرها من الطرق.

وكان للنصارى في مملكة غرناطة دور بارز في حقل التجارة على الرغم من قلة عددهم، وخاصة منهم الذين استقروا في المناطق الحدودية مع الممالك النصرانية، ففي مدينة المرية ساهم التجار النصارى في تنشيط حركة الميناء التجارية مع دفعهم للضرائب للسلطة النصرية[120]، ولحماية حقوقهم كان يتواجد قنصل نصراني دائم في المرية وقناصل آخرين في مالقة وغرناطة[121].

كما كانت العلاقة بين المسلمين والنصارى المعاهدين علاقة جيدة في غالب الأحيان، وهذا رغم الصراع الذي كان محتدما بين ملوك بني نصر وبني ملتهم من ملوك النصارى في الشمال ، ويرجع هذا الوضع الغريب إلى الامتزاج والتجاور الطويل الذي حدث في الأندلس، وهو الشيء الذي ساهم في تبادل التأثيرات بين الجانبين من عادات وتقاليد وأعياد ومناسبات، فأتقن النصارى اللغة العربية والنظم الإسلامية وتأثروا بها[122]، كما شغلوا بعض المناصب الرفيعة بالدولة النصرية في الإدارة والجيش رغم مساندتهم لبني ملتهم وخيانتهم للمسلمين في بعض الأحيان[123].

ب . اليهود :

تميز موقف الإمبراطورية الرومانية من اليهود بالعدائية، حيث عانوا من المعاملة السيئة في مختلف مراحل إمبراطوريتهم، إلى درجة إجبارهم على اعتناق المسيحية بالقوة[124]، وبعد القضاء على تجمع اليهود في فلسطين، تفرقوا في مناطق عديدة من العالم، وبما أن الكنيسة الكاثوليكية ورثت عن الدولة الرومانية هذه الكراهية، فقد هرب اليهود وتفرقوا في المناطق التي كان سلطان هذه الكنيسة فيها ضعيفا، مثل أسبانيا والشمال الأفريقي وبلاد الشرق، وشمال أوربا[125].

وقد هاجرت جماعات يهودية معتبرة إلى أسبانيا، فأصبحت هناك مدنا يهودية خالصة ، وكان ذلك في العهد القوطي، ومن بين تلك المدن نذكر ألبيرة وغرناطة، إلا أنه ومنذ وصول رجال الدين النصارى إلى مراكز هامة من السلطة القوطية في أسبانيا، بدأت المجامع الطليطلية تضيق عليهم الخناق وتحاصر وجودهم واستقرارهم في هذه البلاد، فقد أصدر المجمع الطليطلي الثالث 589م قرارا بضرورة تعميد كل الأولاد الذين يولدون من زيجات يهودية نصرانية[126]، كما أن المجمع الطليطلي الثامن ذهب إلى أن حرم عليهم إقامة شعائرهم الدينية، لكن سرعان ما تآمر اليهود ضد النصارى في أسبانيا وحكمهم المتمثل في مملكة القوط كنتيجة لما لاقوه من تعسف واضطهاد نصراني بالإضافة إلى طبيعتهم[127]، وكل ذلك أدى في النهاية إلى نتائج وخيمة على وضعيتهم ووجودهم في هذه المنطقة، حيث زاد التضييق عليهم سنة 694 م وصدور القانون الذي يقضي باستعباد جميع يهود الأندلس، بما فيهم المنصرين، ومصادرة جميع ممتلكاتهم، ويلزم أسيادهم النصارى بمراقبتهم، ومنعهم من ممارسة طقوسهم، كما يقضي بانتزاع أطفالهم

منهم، إذا بلغوا سن السابعة، وتوزيعهم على عائلات نصرانية ليتنصروا في أحضانها، ويزوجوا عندما يكبروا من النصارى[128].

ومع مجيء المسلمين الفاتحين لبلاد الأندلس، كانت بداية عصر جديد بالنسبة لليهود، حيث تمتعوا في ظل الوجود الإسلامي بحرية نادرا ما تمتع بها اليهود عبر تاريخهم، وذلك إلى درجة أنهم تعاونوا مع المسلمين الفاتحين للبلاد في المجال الحربي، وهو ما يمكن اعتباره نكاية بالحكم القوطي النصراني الذي ذاقوا خلاله شتى أصناف العذاب والتهميش، فبلغ الأمر بالمسلمين إلى أن استأمنوهم على حراسة المدن الأندلسية المفتوحة حديثا[129]، وكان ذلك جنبا إلى جنب مع الجنود المسلمين، وذلك ليتمكنوا من مواصلة التقدم في الفتح وفي هذا الشأن يقول لسان الدين ابن الخطيب : " ... قال فمضى الجيش الذي وجه طارق إلى مالقة ففتحها، ... ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى إلبيرة، فحاصروا مدينتها وفتحوها عنوة وألفوا بها يهودا ضموهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم سنة متبعة متى وجدوا بمدينة فتحوها يهودا يضمونهم إلى قصبتها ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها ..."[130].

وقد كان تواجد اليهود يشمل العديد من المدن الأندلسية المهمة، ففي الثغر الأعلى كانت منطقة روطة وضواحيها[131]، هذا بالإضافة إلى مدينة أشبيلية والتي كان بها عدد وافر منهم، إلا أن أكبر مركز للتواجد اليهودي في الأندلس كان في مدينة اليسانة قرب حصن قبرة في الجنوب من بلاد الأندلس[132]، وهي كلها مناطق تابعة للحيز الجغرافي الذي كانت تشغله مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر.

أقام اليهود في المدن الأندلسية في أحياء مستقلة، وكان باب المدينة المؤدي إلى حي اليهود يعرف أحيانا بـ "باب اليهود"[133]، إلا أن الدكتور حسين مؤنس ينفي وجود أحياء مستقلة عن باقي السكان، بالإضافة إلى نفيه الشديد لوجود الجدار الفاصل الذي يحيط الحي اليهودي مثلما كان في بولندة وألمانيا، والعديد من الدول الأوربية الأخرى، وهو الذي كان يسمى الجيتو getto[134].

وقد زاول اليهود في مملكة غرناطة مهنا عديدة ومتنوعة اعتادوا على العمل بها عبر تاريخهم، فامتلكوا الأراضي والعقارات بشتى أشكالها ، وامتهنوا حرفا كثيرة ومتنوعة ذات أهمية بالغة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي مثل صناعة الورق وصياغة الذهب وامتهنوا الطب، على أن أكبر مجال عمل فيه اليهود هو التجارة المتنوعة الأصناف، وأهمها على الإطلاق تجارة الرقيق[135] وبخاصة منهم الصقالبة[136]، كما آثر اليهود الإقامة في المدن حيث يزاولون بها أعمالهم التقليدية التي اشتهروا بها عبر العصور، وكانت مدينة غرناطة من بين أكبر المدن التي كان بها عدد معتبر من اليهود، إلى درجة أن أصبح يطلق عليها : "... أغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا ..."[137]، وذلك كناية على كثرتهم وتنفذهم بها، هذا على الرغم من أن عددهم في عصر ملوك الطوائف وعليه مملكة بني زيري البربر لم يكن كبيرا جدا، حيث كان في حدود الأربعة آلاف يهودي أو يزيد بقليل[138]، وهناك من المؤرخين من ذهب إلى اعتبار أن هذا العدد قليل جدا وبعيد عن الحقيقة، لذلك يقدر عددهم في هذه الفترة بحوالي خمسة عشر ألف يهودي[139].

وقد شهدت منطقة غرناطة هجرة معتبرة في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، إذ توجه إليها العديد من اليهود القرطبيين في أعقاب الفتن والاضطرابات التي حدثت في قرطبة مع نهاية عصر الخلافة الأموية[140]، وكان إسماعيل بن يوسف بن تغرلة أحد هؤلاء المهاجرين إليها، فهو الذي صار الوزير الأول والقائد للجيوش في دولة باديس بن زيري في عصر الطوائف، وبذلك سيطر اليهود على معظم الوظائف وبهذا يرجّح تزايد عددهم في مملكة غرناطة بشكل ملحوظ[141]، لكن عددهم عاد وتناقص بشكل كبير من غرناطة، وذلك بعد الثورة التي قام بها المسلمون كردة فعل على تجاوزاتهم وسيطرتهم على مقاليد الأمور، فكانت نتائجها بقتل وتشريد معظم اليهود القاطنين بغرناطة[142] سنة 459هـ / 1066م، ويقول ابن بسام الشنتريني عن هذه الحادثة: " ... فلما كان اليوم الذي أراد الله فيه إزالة نعمته عنه، وإراحة عباده و بلاده منه، نذر به أولئك المغاربة، فأعلنوا بالصياح، وثاروا إلى السلاح، وأتى الصريخ بقية الجند، وعامة أهل البلد، ونادى مناديهم: غدر اليهودي وخان ... فدخلوا القصر من كل باب، وهتكوا حرمة اليهودي دون حجاب ... وقد استطال الناس على يهود، وقتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف..."[143]

وفي عهد دولة المرابطين، عاد عدد معتبر من يهود الأندلس إلى غرناطة[144] وهذا ربما يعود إلى ما تميز به المرابطون من تمسك بالشرع الإسلامي خاصة في عهودهم الأولى على اعتبار أن اليهود من أهل الذمة في الديار الإسلامية، ومما يدل على ذلك تمتع علماء اليهود بالحرية في الكتابة والتأليف حتى وصل عدد منهم إلى قصور الأمراء والحكام[145]، أما في العهد الموحدي فإن ابن الخطيب يقدم لنا إشارة يفهم منها أن عددا كبيرا من يهود غرناطة المقيمين بالقرب من الأحياء النصرانية، شملهم النفي إلى بلاد العدوة المغربية سنة 520هـ/ 1126م، والذي تعرض له النصارى عقابا لهم لقيامهم بدعوة الممالك النصرانية لغزو غرناطة ومساعدتهم عند قدومهم، فيقول في هذا أيضا ابن الخطيب : " ... وأُزعج منهم إلى بر العدوة في رمضان من العام المذكور عدد جم، أنكرتهم الأهواء وأكلتهم الطرق، وتفرقوا شذر مذر، وأصاب كثير من الجلاء جمعتهم من اليهود، وتقاعدت بها منهم طائفة ... عام تسعة وخمسين وخمسمائة ..."[146]، ويبدوا أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مجاورين للنصارى قد شاركوا في مساعدة النصارى المعتدين على أراضي المملكة، وهو الأمر الذي دفع السلطة الإسلامية إلى عقابهم والانتقام منهم.

ومع تساقط المدن الإسلامية في الأندلس تباعا أصبحت مملكة غرناطة ملجأ اليهود الفارين من ردود فعل النصارى ضدهم، حيث استمر هذا الوضع حتى سقوط المملكة في أيديهم، فتمتعوا فيها بشيء من الحرية وفقا لما يحدده الشرع الإسلامي، مع بعض الخصوصيات التي تمتعت بها الأندلس، ومن بينها أن جُعل لهم لباس خاص يميزهم عن المسلمين فيُعرفون به، فكانت لهم القلنسوة الصفراء وفي المقابل منعت عليهم العمائم[147]، كما حظر عليهم ركوب الجياد[148]، وفي هذا يقول ابن الخطيب : "... وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم، وشارة تميزهم، وليوفى حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق وهي شواشي صفر"[149]، مع معاملتهم كأهل ذمة، يمنحهم الإسلام حمايته مقابل الجزية، وهي التي خصصت في فترات لبناء مسجد غرناطة الجامع وكذا الحمامات[150].

وقد تجمع اليهود في مملكة غرناطة في أحياء منفصلة بعيدة عن التجمعات الاسلامية نسبيا لكن ببناء شبيه بباقي السكان[151]، وهو الحي الذي خربه الملك فرناندو بعد سقوط المدينة ، وأقام مكانه مستشفى وكنيسة للعذراء[152]، ويقدر عددهم في هذه الفترة بألفي يهودي[153]، وهناك من البحثين من يقلل عددهم إلى الألف[154]، كما استعمل ملوك بني نصر التجار اليهود جواسيس لهم على الممالك النصرانية، ورغم ذلك لم يعينوا يهوديا واحدا في منصب كبير في الدولة طيلة فترة حكمهم للمملكة[155]، هذا إذا ما استثنينا يحيى بن الصائغ الذي كان طبيبا خاصا في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، ورغم ذلك فقد زالت ثقة السلطان أبي الحاج يوسف الثاني (793 – 795 هـ/ 1392 – 1393م) بعد ان اكتشف أنه أعد سما لقتله فسجنه ثم قتله سنة 794هـ/1391م، وتجدر الإشارة إلى أنه لم يحدث أي تمرد أو مصادمات أو ثورات بين اليهود والسلطة السياسية في مملكة غرناطة[156]، كما استخدم بعض ملوك النصارى اليهود في سفاراتهم إلى مملكة غرناطة حيث تمت معاملتهم بشكل جيد[157].

كما استقر اليهود في الغالب في المدن الساحلية على اعتبار اشتغالهم بالتجارة، وهذا مثل مدينة مالقة، والتي عندما احتلها الملك دون فرناندو سنة 1487م بعد حصار دام أربعة أشهر أسر كل من في المدينة، والتي من بينهم 400 يهودي[158] كانوا بالمدينة.

ومن خلال العديد من النوازل التي وصلتنا من عصر بني الأحمد نجد أن العلاقة بين اليهود والمسلمين لم تتوقف عند العلاقات الاقتصادية وإنما تعدتها إلى غيرها، فيذكر لنا الشاطبي حوارا جرى بينه وبين يهودي في بعض المسائل[159]، وكذلك حدث بالنسبة لابن لب[160]، كما تمتع اليهود في المجتمع الأندلسي الغرناطي بحرية المعاملات التجارية، وهو الأمر الذي يؤكده ابن سراج حين سئل عن حكم معاملة اليهود بالبيع والشراء معهم والإستدانة منهم، فأجاب بالجواز إذا ما خلت المعاملات معهم من الربا وموافقة لما جاء به الشرع الإسلامي[161]، هذا على الرغم من الصورة السيئة لليهودي في المعاملات التجارية عن الأندلسيين من أهل مملكة غرناطة، حيث لم تكن الثقة حاضرة في التعامل معهم، وكان الخوف منهم هو الغالب، فكانت صورة اليهودي هي صورة المحتال، ولم تكن هذه الصورة لتترسخ في أذهان الأندلسيين لولا ما واجهوه من حقائق من خلال تعاملهم مع اليهود المقيمين في المملكة، ولا أدل على ذلك ما نجده في المثل العامي القائل :"إذا أفلس اليهود يفتش دفاتر ولدٌ"[162]، وهذه الحالة من الحالات التي يكون فيها النصب والاحتيال عنوانا لليهود على المتعاملين معهم، حيث تخبرنا النوازل بأن اليهود في الغالب ينتشرون في القرى البعيدة عن العاصمة غرناطة بغرض التجارة، فيستظهرون دفاتر بها ديون على أناس وغالبا ما تكون تواريخ هذه الرسوم بعيدة جدا قد تصل إلى الثلاثين عاما، والغرماء يدعون الخلاص ولا بينة معهم[163]، وهنا يستظهرون بمثل هذه العقود تحايلا منهم على الناس، وهي عقود قديمة جدا، وهو الأمر الذي دفع بالفقهاء إلى اعتبار طول المدة ضعف لمقالهم، وذلك إذا لم تتوفر بينة لدى التاجر اليهودي، ومن الأمثلة ما طرح على الفقيه المواق في رجل توفي منذ ثمانية أعوام، فاستظهر ذمي عقدا به دين قيمته 58 دينارا من السكة الجارية منذ أزيد من ثمانية وعشرون سنة، فهل يعطى له من تركة المتوفى أم لا؟ فأجاب المواق بأن

هذا الذي استحل عقوبته، حيث يمزق العقد، وما دفعه الرجل المتوفى بغير وده لليهودي استحل أن يرجع به عليه[164]، فمن خلال هذه النازلة يتبين لنا أن استظهار مثل هذه العقود هي عادة لتجار اليهود في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر.

بالاضافة إلى العلاقات التجارية، كانت العلاقات الاجتماعية حاضرة بين الأندلسيين من أهل غرناطة وجيرانهم اليهود، وهي المواضيع التي كانت ترد للفقهاء في شكل نوازل عن حدود التعامل معهم، ففي نازلة كان موضوعها حول رغائف كان اليهود يصنعها في عيد لهم يسمونه عيد الفطر، فيهدونها لبعض جيرانهم من الأندلسيين المسلمين، فكان التساؤل حول جواز قبولها منهم وأكلها، فأجاب الفقهاء بالمنع وعدم القبول[165]، وهذا الأمر يعبر عن مدى حرص السائل والمفتي وخوفه على التأثر باليهود خاصة بالنسبة للأمور التي لها علاقة بالدين والثقافة والهوية، وكل ما يمس من خصوصية المجتمع الغرناطي.

---

[1] خوليو كارو باروخا : **مسلمو مملكة غرناطة** ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2003، ص 88.

[2] سامية مصطفى محمد مسعد : **الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين**، مكتبة الثقافة الدينية ن ط 1، القاهرة، 2003، ص 215.

[3] ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي : **رسالة في آداب الحسبة والمحتسب** ، نشرت ضمن **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب** ،تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية بالقاهرة، القاهرة ، 1955، ص 9 ، ص 16.

[4] . لسان الدين بن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2003، ج 1 ، ص 136.

[5] سامية مصطفى محمد مسعد : **الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين**، مكتبة الثقافة الدينية ن ط 1، القاهرة، 2003 ص 216.

[6] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 305.

[7] سامية مصطفى: المرجع السابق ، ص 216.

[8] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 135.

[9] لويس سيكو دي لوثينا : **الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية**، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السابع والثامن، 1959 . 1960 ، ص 93.

[10] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص 73 ، 74.

[11] حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ط 2 ، الدار السعودية ، 1985 ، ص 435.

[12] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 4 ، ص 427.

[13] ابن بطوطة أبو عبد الله محمد الطجي اللواتي : **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، نشر وترجمة ديفريمري وسانجنيتي ، باريس ، 1922، ج 4 ، ص 372، 373 ، أحمد مختار العبادي : **الأعياد في مملكة غرناطة**، صحيفة المعهد المصري الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس عشر ، 1970.، ص147.

[14] مؤلف مجهول : **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها** ، تحقيق إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989، ص100.

[15] ابن عبد الحكم عبد الرحمن : **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، مصر، 1999، ص 280.

[16] حسين مؤنس : **فجر الأندلس**، ص 335.

[17] السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1988 ، ص 120.

[18] المقري أحمد بن محمد التلمساني : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 1988، ص 223.

[19] خوليو كارو باروخا : المرجع السابق ، ص 68.

[20] ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله : **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1978، ص 16 ، 17.

[21] حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ص 356.

[22] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 271.

[23] ليفي بروفنسال : **حضارة العرب في الأندلس** ، ترجمة ذوقان قرقوط ، مكتبة الحياة ، بيروت، (دت)، ص39.

[24] المقري : **نفح الطيب** ، ج1 ، ص 213.

[25] - Lévi . histoire de l'Espagne musulmane , t 1 , paris, maisonneuve, 1950, p 84. Provençal.

[26] عبد العزيز فيلالي : **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1982، ص 47.

[27] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 103 – 105.

[28] Rachel arie: l'Espagne musulmane au temps de nasrides, paris , 1973 , p 301

[29] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 103.

[30] خوليو كارو باروخا : المرجع السابق، ص64.

[31] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 106.

[32] ذكر محمد عبد الله عنان في تعليقة على هذه اللفظة أن كل المخطوطات التي اعتمدها في التحقيق استعملت هذه اللفظة، وأرجع معناها إلى الإشراعات مفرد إشراع وتعني المرسوم أو الظهير، أو أن افظ استرعات لفظ أندلسي قديم يدل على معنى مرسوم أو ظهير، المصدر نفسه ، ج10، ص 200.

[33] المصدر نفسه ، ج 1، ص 136.

[34] ابن لب الغرناطي : المصدر السابق ، ج2، ص 112.

[35] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 17.

[36] المقري : **نفح الطيب** ، ج1 ، ص 292.

[37] ابن لب الغرناطي : المصدر السابق ، ج2، ص162

[38] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص ص17

[39] الونشريسي : المعيار، ج 09، ص 264.

[40] ابن عبد الملك المراكشي : **الذيل والتكملة** ، السفر السادس، ص 313.

[41] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ،ج 1 ، ص 27، ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 27.

[42] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 27.

[43] المصدر نفسه ، ص 2 ، 3 .

[44] Rachel arie . op cit . p 304 .

[45] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 139.

[46] يقصد بالبربر الجماعات التي أقامت منذ أحقاب بعيدة في الشمال الأفريقي من برقة شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ويرجع ابن خلدون الكلمة إلى كثرة بربرتهم ، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ويرجعهم ، وقد عاش البربر على شكل جماعات وبعضهم عاش داخل المدن واختلطوا بمن احتل البلاد كالرومان والوندال وغيرهم والغالبية عاشت على شكل قبائل وجماعات واتخذت من سهول وجبال المنطقة موطنا وسكناً أنظر : ابن خلدون : **المقدمة** ، تحقيق أحمد الزغبي، دار الأرقم، بيروت، (دت)، ص 43.

[47] هناك اختلاف بين المصادر التاريخية في تعداد الجيش، فهناك من يقول اثنتا عشر ألفا ولم يكن فيه من العرب إلا عدد يسير . أنظر : المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 216، أما ابن خلدون فيحدد الجيش بعشرة آلاف من البربر ومائتي من العرب . أنظر : ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار ابن حزم، بيروت ط 1 ، ص 2001، ج 6 ، ص 260.

[48] المقري : **نفح الطيب** ،ج1 ، ص ص 216 . 241.

[49] ابن خلدون : **كتاب العبر** ، ج 6 ، ص 106.

[50] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1، 278.

[51] السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، ص 122.

[52] حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ص 196.

[53] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص 43.

[54] ليفي بروفنسال : **حضارة العرب في الأندلس** ، ص116.

[55] حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ص 379.

[56] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 353.

[57] أنظر بحثنا لنيل شهادة الماجستير حول الفتنة القرطبية . سليم حاج سعد : **الكتابة التاريخية والفتنة القرطبية (دراسة تحليلية للمصادر العربية)**، إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2008.

[58] للتوسع في الموضوع أنظر : عبد القادر بوباية : **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي**، رسالة دكتوراه إشراف الدكتور غازي جاسمم الشمري، وهران ، 2002.

[59] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق، ص 255.

[60] حول هذا الموضوع انظر . مريم قاسم طويل : **مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر**، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1994.

[61] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 2، ص 44 وما بعدها.

[62] هو حبوس بن ماكسن بن زيري الصنهاجي قال عنه ابن سعيد نقلا عن ابن حيان : كان على ما فيه من القسوة يصغي إلى الأدب وكان غليظ العقاب فارسا شجاعا جبارا مستكبرا كامل الرجولة توفي سنة 429 هـ / 1037م، أنظر : سعيد علي بن موسى المغربي : **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص 107، ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد : ***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*** ، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة ،ط 2، بيروت ،1980، ج 3 ، ص 262.

[63] ابن بلقين بن زيري : **مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان**، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف، مصر، 1955، ص 25، 26.

[64] المرجع نفسه ، ص 245.

[65] ابن ابن أبي زرع الفاسي : ***الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*** ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط، 1972، ص 152، ابن بلقين عبد : المصدر السابق ، ص 103.

[66] سامية مصطفى: المرجع السابق، ص 211.

[67] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 228، 229.

[68] ابن خلدون : **العبر** ، ج 7 ، ص 368 – 371.

[69] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 3 ، ص 208 ، 209.

[70] ابن لب الغرناطي : المصدر السابق ، ج2، ص105.

[71] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 28.

[72] ابن خلدون : **العبر** ، ج 7 ، ص 485.

[73] الونشريسي : **المعيار** ، ج 09، ص261- 266.

[74] المصدر نفسه ، ج 9، ص 264.

[75] ابن خلدون : **العبر** ، ج 6 ، ص 281.

[76] الونشريسي : المعيار ، ج 03، ص148

[77] الزجالي أبو يحيى عبيد الله : **أمثال العوام في الأندلس** ، تحقيق محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس الثقافية الجامعية، فاس ، 1971 ، ج 2 ، رقم 175.

[78] ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ص227.

[79] سورة البقرة ، الآية 256.

[80] النصارى : لفظة مشتقة من النصر، إما لأن قريتهم تسمى ناصرة، وإما لأنهم تناصروا، وإما لقول عيسى عليه السلام " من أنصاري إلى الله"(الصف : الآية 14) ، أنظر . خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي : **الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى**، مكتبة الكوثر، ط 1 ، المملكة العربية السعودية، 1429 هـ ، ص 37

[81] ابن حيان القرطبي : **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** ، تحقيق ب شالميتا و ف كورنيطي، وم صبيح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، وكلية الآداب جامعة محمد الخامس ، مدريد ، 1979، ج 5 ، ص 114 ، 131.

[82] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 170،ابن حيان القرطبي : المصدر السابق ،ج5، ص 135، حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ص 425.

[83] السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، ص 130.

[84] ابن عذاري: المصدر السابق ، ج2 ، ص 106.

[85] ابن الخطيب : **تاريخ أسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام** ، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2 ، دار المكشوفة ، بيروت ، 1956، ص 18.

[86] السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، ص 129.

[87] حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ص 426.

[88] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج5، ص40.

[89] أحمد مختار العبادي : **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية ، بيروت 1981 ، ص 374.

[90] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 4، ص 46.

[91] سورة البقرة الآية رقم 256.

[92] عبادة كحيلة : **تاريخ النصارى في الأندلس** ، ط 1 ، دار النهضة ، بيروت، 1996، ص 87.

[93] مؤلف مجهول : **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها** ، ص 106. أنظر : أبي بكر بن القوطية : **تاريخ افتتاح الأندلس** ، تحقيق إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989،، ص 25.

[94] عبد الواحد بن علي المراكشي (ت 647 هـ / 1229 م) : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تحقيق محمد سعيد العريان ، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963.، ص 450، شكيب أرسلان : **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1997، ج1 ، ص 219.

[95] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 133، خالد بن ناصر: المرجع السابق ، ص 37 ، 38.

[96] الإدريسي أبو عبد الله : **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس** ، جرده وحققه من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983، ص 278.

[97] الدهماني سالم الدهماني : **التاريخ السياسي والاجتماعي لمملكة غرناطة في ظل بني الأحمر** – دكتوراه دولة، إشراف الدكتور محمد رزوق ، جامعة الحسن الثاني ، الدار البيضاء، 2002/2001، ص 56.

[98] أحمد ثاني الدوسري : **الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر** – دكتوراه دولة، إشراف الدكتور إبراهيم حركات، جامعة محمد الخامس ، الرباط، 2002 / 2003، ص 55.

[99] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 113.

[100] يوسف شكري فرحات : **غرناطة في ظل بني الأحمر . دراسة حضارية** . ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1982، ص 109.

[101] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 108، 109.

[102] المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 114.

[103] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 107.

[104] فولجر : تسمى حاليا cuejar sierra على مقربة من غرناطة في الجهة الشرقية . ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 1، ص 107 هامش 5.

[105] المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 107.

[106] Isidro de los cagigas : los Mudéjares. T2. P428.

[107] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 546.

[108] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر** ، ص 136.

[109] Rachel arie . op . cit , p178.

[110] أحمد المقري التلمساني : **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، (دت)، ج 2 ، ص 55 ، 56.

[111] الدهماني سالم الدهماني : المرجع السابق، ص 244.

[112] Rachel arie . op cit pp 318.319.

[113] أحمد الدوسري ثاني : المرجع السابق ، ص 59.

[114] Rachel arie . op cit p 323.

[115] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر** ، ص 141.

[116] الونشريسي : المعيار ، ج 11، ص112

[117] ابن سلمون أبو القاسم : **العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام**، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول، دار الآفاق العربية، القاهرة ، 2001، ص 571.

[118] ابن سراج : المصدر السابق ، ص 140،141.

[119] الونشريسي : المعيار ، ج 02، ص 138.

[120] يوسف شكري فرحات : المرجع السابق ، ص 110.

[121] Rachel arie . op cit p 317.

[122] أحمد ثاني الدوسري : المرجع السابق ، ص 59 ، 60.

[123] المرجع نفسه ، ص 60.

[124] عبد العزيز فيلالي : **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي**، دار الهدى ، الجزائر، 2012، ص 57.

[125] حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ص 521.

[126] السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، ص 153.

[127] حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ص 522، يقودنا هذا الأمر إلى النظر في تعاليم التوراة الموجودة لديهم، حيث تعج بعبارات العداء لغير اليهود، واعتبار الشعوب الأخرى خدما خلقهم الله لخدمتهم، وعندما ندرك تماما ما للدين من تأثير بالغ في حياة الإنسان ، نعلم سبب طبيعة اليهود التي عرفوا بها عبر تاريخهم.

[128] عبد العزيز فيلالي : **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي**، دار الهدى ، الجزائر، 2012، ص 58.

[129] السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، ص 76.

[130] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، 101.

[131] عبادة كحيلة : المرجع السابق ، ص 45.

[132] المرجع نفسه ، ص 46.

[133] ليفي بروفنسال : **الإسلام في المغرب والأندلس** ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص116.

[134] حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ص 526.

[135] عبادة كحيلة : المرجع السابق ، ص 48.

[136] كان الجغرافيون العرب يطلقون هذه التسمية على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخرز بين القسطنطينية وبلاد البلغار ثم أصبح يطلق على أسرى الحرب الذين يباعون لمسلمي الأندلس حيث ينخرطون في الجيش أو يتخذون لخدمة الحرم في القصور بعد خصيهم، وكان لتجار اليهود حسب المستشرق الهولندي دوزي معامل للخصى أهمها معمل فردن في بلاد الغال وبعد خصيهم يباعون في الأندلس فيتعلمون العربية وفنون الفروسية ويتأدبون بآداب المجتمع الإسلامي. وقد ازداد عددهم بشكل كبير حتى أصبح في عهد عبد الرحمن الناصر 13750 ، وأعتق الكثير منهم فأثروا في المجتمع وملكوا الأراضي واتخذوا العبيد .ونبغت طائفة منهم في العلم والأدب فكان منهم الشعراء والكتاب. وتولوا المناصب الهامة وقيادة الجيش. . أنظر :المقرى : **نفح الطيب**، ج1، ص88 ، ابن الأبار أبو عبيد الله محمد : **التكملة لكتاب الصلة** ،تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995. رقم 89 .

[137] الحميري : **الروض المعطار** ، ص 45.

[138] خالد يونس الخالدي : **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (92 – 897 هـ / 711 – 1492م)**، رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور خليل إبراهيم الكبيسي، جامعة بغداد ، 1999 ، ص 43.

[139] مريم قاسم طويل : المرجع السابق ، ص 251.

[140] خالد يونس الخالدي : المرجع السابق ، ص 44 ، 45.

[141] ابن بلقين : المصدر السابق، ص32.

[142] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 231.

[143] الشنتريني (أبو الحسن علي بن بسام) : **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت، 1979، ق1، م2، ص 769.

[144] المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 77.

[145] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 77. سامية مصطفى محمد مسعد : المرجع السابق، ص227.

[146] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج 1 ، ص 114.

[147] المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ، ص 223.

[148] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج 1 ، ص 388.

[149] المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 388.

[150] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية**، ص 71.

[151] Leopoldo Torres Balbas : Mozarabias y Juderias de las Ciudades Hispanomusulmanas- AL ANDALUS. VOL19 . 1954. P190.

[152] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر** ، ص 144.

[153] Jeronimo Munzer : Viaje por Espana Y Portugal en los anos 1494 y 1495. P 95.

[154] Rachel Arie : Opcit . P 332.

[155] خالد يونس الخالدي : المرجع السابق ، ص 200.

[156] المرجع نفسه ، ص 200.

[157] ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ص 322.

[158] ابراهيم بن سليمان طروتيال : **كتاب التواريخ – تاريخ فاس** ، ترجمة عبد العزيز شهبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية. تطوان، 2007، ص 142.

[159] الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت790هـ / 1388م) :الإفادات والإنشادات، تحقيق محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص 156.

[160] الونشريسي : المعيار ، ج 11، ص266.

[161] المصدر نفسه ، ج 5، ص 244.

[162] الزجالي : المصدر السابق، ج2، ص 17.

[163] الونشريسي : المعيار ، ج 05، ص245، 246.

[164] المصدر نفسه، ج 5 ، ص 246.

[165] المصدر نفسه، ج 11 ، ص 112.